من جهود العلماء والأمراء في نصر السنة وقمع البدعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ..... وبعد

فمعاشر المسلمين كان من حكمة الله تعالى وبالغ أمره أن أكمل لنا ديننا ورضيه لنا وأتمَّ علينا النعمة فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)).

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره لهذه الآية:

قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو الإسلام. أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا [(١)].

وكان من كمال هذا الدين وتمامه شموليته لجميع ما يحتاجه الناس في كل شئون حياتهم الحسية والمعنوية . على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأزمنتهم وأمكنتهم ولهذا تميّزت أحكام الشرع وآدابه بالثبوت والدوام رغم اختلاف الظروف والأحوال.

ولما كان من أعظم مقاصد الشريعة ومما تكاثرت به النصوص ما يتعلق بالمحافظة على دين الناس وعدم المساس به .

كان لازم ذلك بدها خطورة من تولى كبره من المسيئين المحادين لثوابت الشرع وآدابه ، فكل من حادَّ أحكام الشرع وحكم فيها بجهل أو هوى فينبغي تقويمه على الصراط المستقيم بالطرق المشروعة التي بينها علماء الشريعة وبخاصة في كتب الاحتساب.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ ص ١١٠١.

وهذا الأمر أعني الإكثار على من اعترض أو سخر أو لمز أحكام الشرع من أهل البدع وكـذا من انحرف من كتاب الصحافة فهذا الإنكار من الأمور اللازمة على كل قـادر عليهـا وأولى الناس بهذا بل هي من أصول عملهم وواجباتهم حكّام المسلمين. فهم من بسط الله لهم قـوة اللسان والسنان يباشرون ذلك بأنفسهم أو من يقوم مقامهم من علماء الأمة وأمرائها.

ولقد أكّد هذا الواجب المشروع على ولاة الأمور أهل العلم وبخاصة من صنّف في الأحكام السلطانية ومن أولئك الإمام الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية فقد قال رحمه الله تعالى في أثناء حديثه عن واجبات من يتولى أمر المسلمين: ((والذي يلزمه من الأمور العامـة عشرة أشياء أحدها حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة . فإن نجـم مبتـدع أو زاغ ذو شبهة عنه . أوضح الحجة وبين الصواب وأخذه بما يلزم مـن الحقـوق والحـدود . ليكون الدينُ محروسا من خلل والأمةُ ممنوعةً من كل زلل)) إلى آخر ما قاله رحمه الله تعالى .

وعوداً على بدء يقال:

لقد كان الإنكار على أهل البدع والمحدثات والأهواء من العناية بمكان عظـيم عنـد خلفـاء المسلمين وأمراءهم وحكامهم.

وقد ضمنت دواوين التاريخ والمصنفات العقدية شواهد كثيرة من ذلك.

وأعظم الناس إنكاراً لها وتحذيراً منها إمام الأئمة والعلماء محمد ﷺ.

فقد بين ﷺ الدين للناس أتم بيان وأوضحه أتم إيضاح.

فأدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالةَ ونصح الأمةَ وجاهد في الله حق جهاده.

وكان من نصحه ﷺ لأمته وحرصه عليهم تحذيرهم ونهيهم عن البدع.

فمن ذلك قوله ﷺ : ((إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعـة وكـل بدعـة ضـلالة)) أخرجه أحمد وأبو داود عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وعن عبدالله بن عبـاس رضي

الله تعالى عنهما قال: قال رسول ﷺ : ((إياكم والغلوَّ في الدين فإنما هلك من كان من قبلكم بالغلو في الدين)) أخرجه أحمد والنسائي.

وقد كان ﷺ بالمؤمنين كما وصفه ربه تعالى : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)).

وهكذا كان ﷺ حريصا على المؤمنين رؤوفا بهم رحيما لهم.

وكان من عظيم حرصه ورأفته ورحمته تحذيرهم من الخطأ لئلا يقعوا فيه ونهيهم عنه إذا خالطوه وبيان طريق الهدى لهم وشواهد ذلك من السنة كثيرة معلومة.

فعن جابر ابن عبدالله : ((أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذين نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)) أخرجه الدارمي وابن أبي عاصم في السنة.

وعن عبدالله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال فقال لهم مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم قال فما غبطت نفسا بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده . رواه أحمد.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا تقالُّوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما

والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني . أخرجه البخاري.

عن ابن عباس قال بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ مُره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه. أخرجه البخاري.

عن ابن عباس : أن النبي ﷺ لما بلغه أن أخت عقبة بن عامر نذرت أن تحج ماشية قال: ((إن الله لغني عن نذرها مرها فلترتكب)) سنن أبو داود.

وهذه النصوص قليل من كثير في تحذيره ﷺ من البدع والمحدثات في الدين وبيان وخيم عاقبة أمرها وأمر من تلوث في أوحالها.

وأما جهود الخلفاء والأمراء في التحذير من البدع ودعاة الضلال فأمر مشهور في التاريخ والسير بل كان بعضهم يعاقب أولئك عقابا بدنيا إذا دعت الحاجة إلى ذلك ورأى الحاكم أن في ذلك مصلحة كبرى ومن شواهد ذلك ما جاء في دواوين التاريخ أنه كان في زمن الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجل اسمه صبيغ من أهل العراق كان يحمل كتباً ويطوف في أجناد المسلمين ويقول: من يتفقه نفقهه وكان يتكلم في أمور في القرآن الكريم لا يحسنها بل ولّد من ذلك شبهاً وشكوكا فلما وصل مصر كان أميرها آنذاك عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فأرسله عمرو إلى عمر بن الخطاب وكتب عمرو خطابا بشأنه إلى عمر بن الخطاب فلما وصل البريد إلى عمر وقرأ الكتاب اهتم بالأمر وقال للبريد : أين الرجل ؟ فقال له البريد إنه معنا في الرحال. فقال عمر: اذهب فأتني به فإن كان قد فرّ لتصيبنك مني العقوبة الموجعة فخرج صاحب البريد ثم رجع بالرجل معه. فلما وصل عند عمر قرره رضي الله تعالى عنه بذنبه الذي يسعى به ثم ضربه بجريد النخل حتى أصبح ظهره كالوبرة فأخرجوه ثم لما برئ أمر به عمر فلما جاء جلده بجريد النخل حتى أصبح ظهره

كالوبرة فأخرجوه ثم لما برئ أمر به عمر فلما جاء وأراد ضربه مرة ثالثة قال الرجل: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت وقد شفيتني شفاك الله. فكف عنه رضي الله تعالى عنه وأمر بإرساله إلى بلده وكتب إلى أمير بلده بأن ينهى الناس عن مجالسته فاشتد ذلك على الرجل فكتب الأمير إلى عمر أن الرجل قد حسنت حاله فأذن عمر للناس بمجالسته.

قال الإمام الشاطبي بعدما ساق هذه القصة: [وهي تدل على أن الهين عند الناس من البدع شديد وليس بهين ((وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم))] [(١)].

من شواهد ذلك في عهد عمر رضي الله تعالى عنه أيضا ما جاء عنه عن المعرور بن سويد قال: كنا حجاجا مع عمر بن الخطاب ، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه فقال عمر: ما شأنهم؟ ! فقالوا هذا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال عمر: أيها الناس ! إنما هلك من قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى اتخذوها بيعا ، فمن عرضت له صلاة فليصل ، ولم تعرض له فيه صلاة فلمض [(٢)].

وقال: عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس : أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف الفتنة[(٣)].

وقال أبو عثمان النهدي: كتب عامل لعمر بن الخطاب إليه أن هاهنا قوما يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير.

فكتب إليه عمر: أقبل ،أقبل بهم معك. فأقبل. وقال عمر للبواب: أعدَّ سوطا. فلما دخلوا على عمر أقبل على أميرهم ضربا بالسوط . فقلت : يا أمير المؤمنين إنا لسنا أولئك الذي تعني ، أولئك قوم يأتون من قبل المشرق [(١)].

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٠١.

(٢) البدع لابن وضاح.

(٣) البدع لابن وضاح.

وأما أميرا لمؤمنين الزاهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى فقد كان حريصا على العناية بالسنن وما يظهرها وفي الوقت نفسه حريصا على تغيير وإبطال والتحذير من كل ما يجانب السنن من دعاة الجهل والبدع ومن شواهد ذلك ما رواه ابن وضاح أن أحد عمّال عمر بن عبدالعزيز كتب إليه يسأله عن الأهواء فكتب إليه عمر رحمه الله تعالى : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره ، واتباع سنته وسنة رسولهﷺ . وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكُفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من علم ما في اختلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم السابقون وإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل فيه لو كان أحرى ، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه ، لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلت أن ما أُحْدِثَ بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب..).

وقد قرن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى أقواله بأفعاله فكما أنه حذر من البدع والمحدثات بقوله وكتابه فقد كان يباشر ذلك بأفعاله فقد قال الضَّحاك : رأيت عمر بن عبدالعزيز يسجن القصاص ومن يجلس إليهم.

وأما الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك فقد خرج في خلافته رجل اسمه غيلان وكان على مذهب عقدي ضال.

وقد كان غيلان هذا أظهر بدعته في زمن عمرو بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى فلما بلغه خبره عمر أمر به فلما حضر أظهر التوبة عنده وعاهد الله ألا يتكلم به. لكنه عاد بعد موت عمر

---

(١) البدع لابن وضاح.

وتكلم به في زمن يزيد بن عبدالملك فأمر به هشام فلما مثل غيلان بين يدي هشام . قال له هشام : أليس عاهدت الله عز وجل لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبدا؟

قال : أقلني فوالله لا أعود.

قال هشام : لا أقالني الله إن أقلتك. ثم قال: اذهبوا به فاقطعوا يديه ورجليه واضربوا عنقه ثم اصلبوه.

ومن مناقب هشام كذلك إصداره أمرا لواليه بخراسان نصر بن سيار بقتل الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن الإمام أحمد بن حنبل قال: قرأت في دواوين هشام ابن عبدالملك إلى نصر بن سيار عامل خراسان: أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فإن ظفرت به فاقتله [(١)].

ولكن هشام توفي قبل ذلك فقد كانت وفاته سنة ١٢٦هـ والجهم قتل سنة ١٢٨هـ.

قال الدارمي: (أظهر الجعد بن درهم بعض رأيه في زمن خالد القسري ، فزعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فذبحه بواسط يوم الأضحى على رؤوس من حضره من المسلمين ، لم يعبه به عائب ، ولم يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه [(٢)].

ومن الخلفاء المشهورين بالصلاح والجهاد هارون الرشيد رحمه الله تعالى فقد كان معظما للمعتقد محاربا للبدع ومن شواهد ذلك ما أخرجه الصابوني في مصنفه العقدي عن (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) فقد ساق بسنده إلى عمرو بن محمد قال: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد ، فحدثه بحديث أبي هريرة : ((احتج آدم وموسى)) فقال علي بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى وما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال : يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف ؟ فما زال يقول حتى سكت عنه.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٦٣٧ ، وفتح الباري ١٣/ ٣٤٦ .

(٢) الرد على الجهمية ص ١١٠ ، ط : المكتب الإسلامي.

وقد كان علماء السنة يمحضون النصح لحكام المسلمين في خطر دعاة البدع على المسلمين ويحثونهم بل يشكرونهم على جهودهم في تتبع أهل المذاهب الباطلة ومعاقبتهم.

ومن شواهد ذلك أن عبادة بن نسي.

لما بلغه أن هشام بن عبدالملك قتل غيلان . قال عبادة مثنيا على فعل هشام : أصاب والله السنة والقضية ولأكتبن إلى أمير المؤمنين فلأحسنن له ما صنع.

ومن الفتن الكبرى التي بليت بها أمة الإسلام فتنة القول بخلق القرآن فقيض الله تعالى لها من الأئمة أحمد بن حنبل فرفع لها رأسه بالحجة الدامغة والثبات على البلاء.

وقيض الله لها من الخلفاء المتوكل بن المعتصم فرفع لها سيفه فأخمدها الله بحجة العلم وقوة السيف . فشكر الأئمة للخليفة المتوكل حسن صنيعه فقد كتب له الإمام أحمد رسالة جاء فيها.

(.. وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين أعزه الله وتأييده.

فقد كان الناس في خوض من الباطل ، واختلاف شديد ينغمسون فيه ، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين أيده الله. وقال أيضا في رسالته:

فنفى الله بأمير المؤمنين – أعزه الله – كل بدعة ، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس..)).

وجاء في كتابه أيضا ما نصه:

((.. فصرف الله ذلك كله ، وذهب به بأمير المؤمنين أعز الله نصره ، ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما ، ودعوا الله عز وجل لأمير المؤمنين أدام الله عزه.

وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء ، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين – أدام الله عزه – وأن يزيد في نيته ، وأن يعينه على ما هو عليه..)).

وممن أثنى على المتوكل أيضا الإمام البربهاري في مصنفه (شرح السنة) فقال رحمه الله تعالى عند حديثه عن تلك الفتنة وضررها وإطفاء المتوكل لنارها:

((.. فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوهما وصارتا مكتومتين لإظهار البدع والكلام فيها ، ولكثرتهم ، واتخذوا المجالس وأظهروا رأيهم ، ووضعوا فيه الكتب ، وأطعموا الناس ، وطلبوا الرئاسة ، فكانت فتنة عظيمة ، لم ينج منها ؛ إلا من عصم الله ، فأدنى ما كانت يصيب الرجل من مجالستهم ؛ أن يشك في دينه ، أو يتابعه ، أو يرى رأيهم على الحق ، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل فصار شاكا ؛ فهلك الخلق حتى كان أيام جعفر الذي يقال له المتوكل: فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق وأظهر به أهل السنة وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع..)).

وقال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى مثنيا على فعل هارون الذي تقدم سياقه: هكذا ينبغي للمرء أنْ يعظم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق ، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد – رحمه الله – مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ(كيف) على طريق الإنكار له والابتعاد عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ.

وبكل حال فإنّ علماء الإسلام قد شكروا وحذروا الحكام من التساهل بترك دعاة البدع والأهواء وضربوا في هذا بسهم وافر وبينوا أن من حقوق الرعية على ولي الأمر أن ينهى عن البدع ويأمر بالسنن وقد تقدم ذلك إجمالا وتفصيلا ومن شواهد ذلك أيضا:

أن الإمام النووي رحمه الله تعالى سُئل عن صلاة الرغائب هل هي سنة أو بدعة؟

فأجاب : ((هي بدعة قبيحة منكرة أشد الإنكار ، مشتملة على منكرات فيتعين تركها والإعراض عنها ، وإنكارها على فاعلها ، وعلى ولي الأمر – وفقه الله تعالى – منع الناس من فعلها : فإنه ، راع وكل راع مسئول عن رعيته [١].

(ومن ذلك أيضا أن أحد أئمة الشافعية سئل عن خطيب يذكر على منبر الجمعة أحاديث لا يميز بين صحتها من ضعفها ، فبين أنه يجب على حكام البلد أن يمنعوا ذلك الخطيب وأمثاله وأن يعزلوه من وظيفة الخطابة زجراً له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السنية بغير حق) [٢].

ويقال بعد هذا وإذا كان هذا كلام أهل العلم فيما يجب على ولي الأمر في شأن من يذكر للناس أحاديث لم يتأكد صحتها !!.

فكيف بمن يدعو إلى البدع وينشرها ويزينها للناس ؟

لا شك أن ضرره أعظم وأشنع.

ولذلك لأن دعاة البدع والضلال المعادين للسنن والعقيدة السليمة أشد ضررا على المجتمع من قطَّاع الطرق.

فقطَّاع الطرق يضرون دنيا الناس وأبدانهم . ودعاة البدع والضلال يضرون دين الناس وقلوبهم.

والضرر في الدين أعظم من الضرر في الدنيا ومرض القلوب أعظم من مرض الأبدان .

اللهم إنا نسألك باسمائك الحسنى وصفاتك العلى.....

---

(١) فتاوى النووي ص ٤٠ وفي بعض الطبعات ص ٥٧.

(٢) الفتاوى الحديثي للهيثمي ص ٤٣.